

ملحمة مزگران لسيدي لخضر بن خلوف مقارنة وظيفية تداولية.

الأستاذ: حاج علي فاضل، جامعة مستغانم.

تقديم:

إنّ البحث عن المعنى الوظيفي التداولي في الخطاب «لم يعد قاصراً على وضوح المفردات اللغوية، ووظائفها الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية على مستوى التركيب.»<sup>(1)</sup>، لأنّه يركّز على الجوانب اللغوية التركيبية، ويغفل العوامل الاجتماعية والسياقية التي تعدّ من العناصر الفاعلة في توضيح معنى الكلام وتقييده، كما أنّ الاقتصار على قرينة بعينها كقرينة الإعراب غير كافٍ لتحديد المعنى. ولهذا لا بدّ من تضافر مجموعة من القرائن للوصول إلى فهم المعنى المقصود من الكلام. ويمكن تصنيف هذه القرائن على النحو التالي:

1. القرائن المعنوية، وهي معاني النحو (العلاقات السياقية syntagmatiques relations).
2. القرائن اللفظية، وهي ما يقدّمه علما الصوت والصرف للتركيب النحويّ من قرائن مختلفة.
3. القرائن المقامية (الحالية contexte of situation) التي تعدّ من أهمّ القرائن المساعدة على تحديد المعنى، كشخصية المتكلم، وشخصية المخاطب، وما بينهما من علاقات، وما يحيط بالكلام من ملابسات وظروف ذات صلة به<sup>(2)</sup>. إنّ مراعاة هذه الاعتبارات المختلفة تمثّل الاتجاه الصحيح والضرويّ في الكشف عن المعنى. وإنّ الاكتفاء بالمعنى الحرفيّ أو معنى المقال أو معنى ظاهر النصّ يعتبر دائماً سبباً في قصور الفهم، لأنّه قاصر عن إبداء الكثير من القرائن الحالية التي تدخل في تكوين المقام<sup>(3)</sup>. ومن هنا يتضح لنا أنّ فهم الظواهر اللغوية يخضع لظروف مقامية، واعتبارات لغوية وغير لغوية كقرائن مساعدة، نظراً لما لها من صلة بخلق الدلالات وتوجيهها. ولعلّ من أبرز وأهمّ النظريات الوظيفية التداولية التي أطرت البحث اللسانيّ العربيّ - في الآونة الأخيرة - النظرية "الفيرثية" والنظرية "النسقية" ونظرية "النحو الوظيفي". والوظيفية نظرية في اللغة تعطي جلاً عنايتها لوظائف المكونات في الجملة<sup>(4)</sup>. وهي تستند إلى البعد التداولي للغة بحكم أنّها وسيلة تواصل. ويتميّز الاتجاه الوظيفي التداولي من بين الاتجاهات الأخرى بأنّه «يربط اللغة بالوظيفة التي تؤدّيها من جانب، وبالبيئة الاجتماعية وتضافر العناصر من جانب آخر.»<sup>(5)</sup> ولذلك نجد الوظيفيين يهتمّون بدراسة الأشكال الدلالية انطلاقاً من ربط المقال بالمقام. وتعود بدايات هذا المنحى في الدرس اللسانيّ الغربيّ الحديث إلى: - مدرسة براغ "Prague" التي بلغت أوج نشاطها في القرن الماضي (1940م) على يد "أندريه مارتينييه" و"إميل بنفبست"<sup>(6)</sup>. وتهتمّ بكيفية استخدام اللغة بوصفها وسيلة اتصال يستخدمها الأفراد للتواصل ولأهداف وغايات معيّنة، وتؤكد على أمرين: أولهما: وظيفة اللغة في التواصل. وثانيهما: الوظائف التي تؤدّيها مستويات اللغة باعتبارها مؤسسة إنسانية رغم اختلاف بنيتها من مجتمع لغويّ إلى آخر. ويبدو أنّ مدرسة

(براغ) كان اهتمامها منصباً على دراسة الكيفية التي تزود بها اللغة المتكلمين بعدد من الجمل والتراكيب المناسبة لظروف مقامية مختلفة.

وتستند الدراسات الوظيفية أيضاً إلى مفهوم السياق عند المدرسة الفيرثية بشقيه "سياق النص" أو "السياق اللغوي" أو "سياق المقال linguistiques contexte"، و"سياق الموقف" (7) أو السياق غير اللغوي أو "سياق الحال" non linguistiques contexte. وهو يشمل المقال والمقام معاً. وقد أطلق المحدثون على القرائن غير اللغوية مصطلح سياق الحال (8)، وهم يقصدون بذلك مجموع العناصر والظروف الخارجية المحيطة بالكلام، كالظروف الاجتماعية والنفسية والثقافية للمتكلم والمشاركين في الكلام (9). ومن هذه العناصر: شخصية المتكلم والسماع وثقافتهما، وشخصيات من يشهدون الكلام، وبيان دورهم في الحدث الكلامي. ومنها أيضاً العوامل الطبيعية والظواهر الاجتماعية التي لها تأثير على السلوك اللغوي للمشاركين في الموقف الكلامي، كحالة الجو، والوضع السياسي، ومكان الكلام وغير ذلك. ومنها أيضاً أثر النص الكلامي في المستمعين ومدى استجابتهم أو رفضهم له، لأن من خصائص "سياق الحال" إظهار الأثر الاجتماعي الذي يقوم به المتكلم وكل المشاركين في الموقف الكلامي (10). وعليه فإن إدراك المعنى المقصود لا يتحقق إلا بمعرفة «الظروف أو الملابسات ذات الصلة بكل ما هو خارج النص سواء كان لغويًا "linguistique" أم غير لغوي "non linguistique" مما يتصل بالحدث اللغوي». (11) ويلاحظ على غالبية التعاريف التي تناولت المقام أو سياق الحال أنها تركز على العناصر المكونة للحدث الكلامي والظروف الخارجية (12)، وهو نفس المنحى الذي أرسى معالمه "فيرث" في نظريته الاجتماعية؛ مؤكداً على الدور الاجتماعي لعناصر السياق - اللغوية وغير اللغوية - كقرينة تساعد على وصف وتفسير جميع الوظائف الكلامية بما فيها الوظيفة الصوتية والنحوية والمعجمية والدلالية لسياق الحال (13). وفكرة سياق الحال أو المقام هي «أساس كل المناهج التي تقوم بدراسة الدلالة» (14) ومنها الدراسات الوظيفية.

ويتلخص موقفها في التركيز على الجانب الوظيفي للغة، وما تؤديه مستوياتها من وظائف مختلفة بالنظر إلى السياقات والمقامات الواردة فيها. ومن نتائج الدراسات الوظيفية في السبعينيات من القرن العشرين النحو الوظيفي الذي يعد من صورها العامة، ويهتم بوظيفة التواصل (la communication)، وهي وظيفة اللغة الأساس.

ومن أهم ما تميّز به الدرس التداولي تحديده لما يعرف بالوظائف التداولية للغة "les fonction pragmatiques" إذ تجاوز وظيفة التواصل إلى تعدد الوظائف، وأهمها: أنّ اللغة ذات وظيفة تأثيرية في السلوك الإنساني، وتنبني عليها تغييرات في الآراء والمواقف. والواقع أنّ مسألة تعدد وظائف اللغة (la fonction de la langue) نشأت قبل نضج الدرس التداولي مع "جاكسون"، وتطوّرت مع باحثين آخرين، مثل: "هاليداي"، و"بوهلر" وغيرهما. وغاية الوظائف التداولية تحديد مكونات الجملة بالنظر إلى البنية الإخبارية في علاقة الجملة بالبنى المقامية المحتمل أن تنجز فيها (15). وهي وظائف مرتبطة بالمقام والسياق، ويمدى إنجازها في واقع التواصل والإبلاغ. وقد جعلها أحد الباحثين "سيمون ديك (semon dik)" مستندا إلى نوعين: داخلية وخارجية (16). وتتسم الوظائف التداولية الداخلية بكونها تستند إلى عناصر تنتمي إلى الجملة ذاتها (17) أي أنّها مكونات داخلية، وتتضمّن

وظيفتي المحور والبؤرة، أما الوظائف التداولية الخارجية فغير مرتبطة بعناصر الجملة، إذ تستند إلى مكونات خارجية عن الجملة، وتضم وظائف المبتدأ والدليل. ويصل مجموع الوظائف التداولية بحسب "سيمون ديك" إلى أربع، ويضيف المتوكّل وظيفة خامسة، هي وظيفة المنادى، إذ يقول: «ونقترح شخصياً أن تضاف إلى الوظيفتين التداوليتين الخارجيتين وظيفة المنادى.»<sup>(18)</sup> فالمنادى شأنه شأن الإخبار أو الطلب، وهو وظيفة تستند إلى أحد مكونات الجملة، فالوظيفة التداولية مرتبطة بالمقام على نحو ارتباط وظيفة المبتدأ أو الدليل، أو غير ذلك من الوظائف. ويقوم مفهوم التداولية على ربط البنية اللغوية بوظيفتها في الاستعمال انطلاقاً من أنماط المقامات والسياقات الواردة فيها؛ قصد الوقوف على أغراضها ووظائفها الدلالية والتداولية التي تصاحب عملية الأداء الكلامي، وهو ما ينسجم مع رؤية الاتجاه الوظيفي ونظريته التداولية (Pragmatique) إلى اللغة. والتداولية "Pragmatique" اتجاه في الدراسات اللسانية المعاصرة؛ يهتم بأثر التفاعل التخاطبي في موقف الخطاب، ويستتبع هذا التفاعل دراسة كل المعطيات اللغوية والخطابية المتعلقة بالتلفظ، وبخاصة المضامين والمدلولات التي يولدها الاستعمال في السياق<sup>(19)</sup>. وقد استعمل بعض المحدثين تعاريف ومصطلحات كثيرة<sup>(20)</sup> ومتباينة أحياناً، لكنها تجمع على ربط المعنى بالاستعمال اللغوي. وقد اهتمت بالخطاب لكونه إنتاجاً لغوياً منظوراً إليه في علاقاته بظروفه المقامية والسياقية، وبالوظيفة التواصلية التي تؤديها في هذه الظروف، فاهتمامها ينصب أساساً على المتكلم انطلاقاً من سياق الملفوظات التي يؤديها إلى جانب تحليل الأفعال الكلامية، ووظائف المنطوقات اللغوية وسماحتها في عملية الاتصال؛ لأنها تبحث في معرفة مقاصد المتكلم وأغراض كلامه. ولاختصاص التداولية بمقاصد المتكلم؛ جعلها بعضهم تدرس وضعيّة التواصل وسياقاته المختلفة.

#### \*-مظاهر التداولية اللغوية في ملحمة مزغران البطولية للشاعر سيدي لخضر بن خلوف:

يتناول هذا البحث دراسة الخصائص الشكلية لعناصر التركيب اللغوي المتعددة في القصيدة، من (أفعال، وبنى حجاجية، وتكرار، وحذف...)، وبيان وظائفها التداولية - كما حددها الدرس اللساني الوظيفي التداولي - ودراسة ما يجعل من نصّ القصيدة خطاباً شعرياً متداولاً.

تنتمي هذه القصيدة إلى الشعر القصصي الملحمي، الذي يتغنى بالبطولات والأعمال الحميدة، والمناقب الوطنية الحميدة من خلال التفاعل والمشاركة بين المتكلم المبدع والمتلقي القارئ. ورغم أنّ الشاعر اشتهر بمدح الرسول صلى الله عليه وسلم إلا أنّ التاريخ سجّل له ملاحم بطولية كثيرة منها "وصف معركة مزغران"، والتي دارت رحاها بين الجيش العثماني بقيادة خير الدين بربروس، والجيش الصليبي الإسباني بقيادة الكونت دالكوتيت والكاردينال خيميناس سنة 1558م، وكانت الغلبة فيها للجيش الإسلامي... الخ. ويحمل هذا النصّ قيماً وظيفية تداولية، غايتها التأثير في المخاطب وتعديل مواقفه من خلال جملة من الأفعال الكلامية التي غرضها الإبلان والتوصيل.

#### \*-النصّ الشعري بالمفهوم التداولي:

هو مجموعة أفعال أدائية تضبطها جملة من العلاقات والوظائف المتحكّمة في عملية الإبلان والتواصل، وهو ما تنادي به المقاربة الوظيفية التداولية المعاصرة التي «تنظر إلى اللغة بعدها ظاهرة خطابية وتواصلية واجتماعية.»<sup>(21)</sup> ولهذا يمكن الكلام عن التداولية في هذا النصّ الشعري، من حيث دراسة شروط وصول النصّ الشعري إلى المتلقي،

والتأثير فيه، ودراسة الصّور والبنى التي تتكفّل بذلك. ويهدف هذا البحث إلى التعرّف على أهمّ الخصائص التركيبيّة في القصيدة؛ ليس من ناحية البنية النحويّة والصّرفيّة فحسب، بل من حيث ارتباطها بمبدأ التّداول بعامة، أي: إنّّه يبحث في الخصائص التي تجعل من تراكيب القصيدة موجّهة لغرض ما أو مقصد بذاته، لذلك فهو لا يعتمد الوصف الشكليّ للتراكيب النحويّة، وإنّما يتجاوزها إلى الكشف عن الوظائف التّداوليّة الثاويّة خلف التّركيب.

### \*-الاهتمام بالمستوى التّداولي في التراكيب:

إنّ الاهتمام بالمستوى التّداوليّ ظاهرة تتسم بها كلّ الخطابات - غالباً - إذ إنّ المتكلّم ينجز خطابه وفق أحوال مقاميّة، واعتداداً بمخاطب حاضر حقيقة أو افتراضاً، ولا يختلف النّصّ الشعريّ عن نصّ آخر في هذا المبدأ العامّ، غير أنّ حضور المخاطب فيه يكون افتراضياً عموماً. ويتعدّد الحضور في هذا النّصّ من خلال اهتمام الشّاعر بأحوال مخاطبيه بحسب مقتضيات المقال، فيبدو ذلك على مستوى البنية التركيبيّة على الشكل التالي:

أ- استعمال التراكيب الإنشائيّة لإثارة المخاطب واستجابته، خاصّة النداء والأمر والاستفهام في قوله<sup>22</sup>:

-يا فارس من ثمّ جيت اليوم\*\*

-ياعجلان ريض الملجوم\*\*

-يا سايلني عن طراد الروم\*\*

-يا سايلني كيف ذا القصة\*\*

- يا مغراوة اتحزموا للكيد

وقد استخدم الشّاعر المتكلّم هذا التّمط التّركيبيّ ليحدث إثارة في نفس مخاطبه، ويضمن استجابته، ولذلك فإنّ هذه التراكيب الإنشائيّة تضمّ إلى جانب الدلالات الواضحة في الأبيات مستوى تداوليّا تمثله هذه التراكيب، ممّا يجعل استجابة المخاطب وقبوله الطّلب الموجه إليه، وهو مخاطب معلوم لدى الشّاعر حيناً، ومفترض حيناً آخر. ففي قوله: "يا سايلني" يخاطب الشّاعر إنساناً مفترضاً، جزائريّاً أو غير جزائريّ، أمّا في قوله: "يا مغراوة اتحزموا للكيد" يخاطب الشّاعر إنساناً حقيقيّاً معلوماً لديه، وهم قبائل مغراوة الجزائريّة.

ب- تقديم مضمون النداء، وتأخير المنادى والأداة للاهتمام بالمضمون في مثل قوله: "إرْفَعْ رَأْسَكَ يَا عَلِيّ" فقد أحرّ أداة النداء مع المنادى في قوله: "يَا عَلِيّ"، وقدّم مضمون النداء "إرْفَعْ رَأْسَكَ"، وهو جملة أمرية؛ تفيد الاهتمام والعناية بالمقدّم، لأنّه هو المعلق بالنفس أولاً.

ج- استخدام الوصف والتّكرار في التّركيب، وذلك لأغراض ومقاصد تداوليّة، منها قوله:

يا سايلني عن طراد الروم\*\* قصة مزگران معلومة

فقد كرّر هذا البيت بعد كلّ خمسة أبيات كلازمة للتأكيد على أهميّة الحدث الكلاميّ؛ المتمثّل في انضمام جيش الرّوم أمام الجيش العثمانيّ بقيادة خير الدّين في موقعة مزگران. فقصة مزگران شاهد على بطولة وشجاعة الشّعب الجزائريّ في مقارعة العدوّ وطرده من الجزائر. وقوله:

ارْفَعْ رَأْسَكَ يَا عَلِيَّ الْمَفْهُومُ \*\* يَا سَيِّدَ الْحَسَنِينَ وَفَاطِمَةَ  
شَوْفُ بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ كَرَاهَا الْيَوْمُ \*\* تَسِيئُهَا أَهْلُ الْكُفْرِ الظَّالِمَةُ

إنَّ اللّجُوءَ إِلَى التَّارِيخِ لَطَلَبُ التَّجَدُّدِ مِنْهُ، وَالِاسْتِعَانَةُ بِهِ عَلَى الْأَعْدَاءِ فِي شَخْصِ الْإِمَامِ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛  
فِيهِ حَثٌّ وَتَشْجِيعٌ لِلْمُخَاطَبِ عَلَى الْمَقَاوِمَةِ وَالِاسْتِبْسَالِ. وَقَوْلُهُ:

يَاذَنُ اللَّهُ الْوَاحِدَ الْقَيُّومُ \*\* تَمْسِي بَيْتَ الْكُفْرِ مَهْدُومَةٌ

إنَّ الْبَدَأَ بِحَرْفِ الْبَاءِ يَفِيدُ الْوَسِيلَةَ وَالِاسْتِعَانَةَ بِاللَّهِ، كَمَا أَنَّ تَقْدِيمَ الْجَارِ وَالْمَجْرُورِ "يَاذَنُ اللَّهُ" عَلَى الْجُمْلَةِ الْفِعْلِيَّةِ  
التَّاسِخَةِ "تَمْسِي... مَهْدُومَةٌ"، فِيهِ تَخْصِيسٌ لِمَعْنَى، أَيَّ أَنَّ النَّصْرَ عَلَى الْأَعْدَاءِ لَا يَكُونُ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ، وَتِلْكَ وَظِيفَةُ  
تَدَاوُلِيَّةٌ عِنْدَ الْوُضُوفِيِّينَ التَّدَاوُلِيِّينَ. وَفِي قَوْلِهِ:

فِي أَمْرٍ جَاتِ الْعَرَبُ طُمُومٌ \*\* سُلْطَانٌ عَادِلٌ طَاعَتُو الْأُمَّةِ

د- تَقْدِيمَ الْجَارِ وَالْمَجْرُورِ فِي: "فِي أَمْرٍ"، وَ"سُلْطَانٌ عَادِلٌ" عَلَى الْفِعْلِ؛ يُوحِي فِي الْأَوَّلَى بِالِاهْتِمَامِ بِأَمْرِ السُّلْطَانِ وَطَاعَةِ  
النَّاسِ لَهُ، أَمَّا الثَّانِيَةُ فَتُوحِي بِالْعِنَايَةِ وَالِاهْتِمَامِ بِشَخْصِيَّةِ السُّلْطَانِ وَعَدَالَتِهِ الَّتِي اسْتَوْجِبَتْ الطَّاعَةَ مِنَ لَدُنِ النَّاسِ.  
وَقَوْلُهُ:

مِنْ بَنِي رَاشِدٍ وَ آلِ سُؤَيْدٍ \*\* وَفَرَّاسِينَ النَّطْحُ عَبْدُ الْوَادِ

فِيهِ تَرْكِيزٌ عَلَى حُضُورِ الشَّخْصِيَّاتِ الَّتِي صَنَعَتْ الْحَدِثَ التَّفَاعُلِيَّ الْمَلْحَمِيَّ؛ إِلَى جَانِبِ تَمْجِيدِ الْبَطْلِ الَّذِي صَنَعَ الْمَجْدَ  
وَطَرَدَ الْإِحْتِلَالَ، بَعْدَ اسْتِجَابَةِ شِيُوخِ وَأَهْلِي الْقَبَائِلِ وَالْعُرُوشِ الْجَزَائِرِيَّةِ لِدَعْوَتِهِ وَنِدَائَاتِهِ الْمُتَكَرِّرَةِ، وَعَزَمَهُ عَلَى تَحْقِيقِ  
النَّصْرِ، كَمَا فِي قَوْلِهِ:

جَاؤَا شِيُوخَ سُؤَيْدٍ لِلْسُّلْطَانِ \*\* وَفِيهِمْ أَبُو بَكْرٌ وَمُحَمَّدٌ

قَالُوا لَهُ يَا أَمِيرُ لَا تَلْيَانُ \*\* لَا دِينَ إِلَّا دِينُ مُحَمَّدٍ

فَهُنَاكَ تَفَاعُلٌ بَيْنَ السُّلْطَانِ كَمْتَحَدَّثَ، وَبَيْنَ الْأَهْلِي كَمُخَاطَبِينَ، وَيُظْهِرُ ذَلِكَ مِنْ خِلَالِ الْجَمْعِ بَيْنَ لُغَةِ  
الْحَوَارِ "قَالُوا" وَالْأَسَالِيبِ الْإِنْشَائِيَّةِ؛ الْمَتَمَثِّلَةُ فِي التَّدَاءِ "يَا أَمِيرُ"، وَالتَّهْيِ "لَا تَلْيَانُ"، فَقَدْ أَصْبَحَ الْمُخَاطَبُ (الْأَهْلِي  
وَالشُّيُوخَ) مُتَكَلِّمًا، وَالْمَتَكَلِّمُ (السُّلْطَانُ) مُخَاطَبًا، وَتِلْكَ مِنْ سِمَاتِ الْفِعْلِ التَّدَاوُلِيِّ الْقَائِمِ عَلَى التَّفَاعُلِ بَيْنَ الْمُتَكَلِّمِينَ  
وَالْمُخَاطَبِينَ.

ه- ثُمَّ يَسْتَرْسِلُ الشَّاعِرُ فِي وَصْفِ صُورَةِ الْمَلْحَمَةِ بَيْنَ الْجَيْشِ الْعُثْمَانِيِّ بِقِيَادَةِ خَيْرِ الدِّينِ بَرْبُوسِ الْمَقَاوِمِ وَالْجَيْشِ  
الصَّلْبِيَّ الْإِسْبَانِيِّ الْمُحْتَلِّ، وَيَزِيدُ فِي وَصْفِهَا بِتَرَكَيبٍ مُتَقَارِبَةٍ، مِمَّا ثَلَّةَ، لِيَحْدِثَ الدَّهْشَةَ لَدَى الْمُخَاطَبِ، وَلِيَسْتَجِيبَ  
لِلطَّلَبِ، كَقَوْلِهِ (23) :

صَبَّحُوا فِي حَوْضِهِ النَّرَّاسِ لِمَوْمٍ \*\* نَزَلُوا ذَا حَبِيَّا وَ ذَا حَيْمَةَ

مَنْ بَنِي رَاشِدٍ وَ آلِ سُؤَيْدٍ \*\* وَفَرَّاسِينَ النَّطْحُ عَبْدُ الْوَادِ

يَا تِجَانِ الْحَرْبِ لَيْسَ بُعِيدٌ \*\* مَنْ مَاتَ سَكَنَ جَنَّةَ الْمِعَادِ  
بَاتُوا الْكُفَّارَ حَارِمِينَ النَّوْمِ \*\* وَ مِزَامِيرُ الْقُنْتِ مَعْمُومَةٌ  
جَيْشٌ بِلَا سُلْطَانٍ غَيْرِ يَهُومٌ \*\* ضَاقَتْ بِيَهُ جَنَاحُ مَعْدُومَةٍ  
عِنْدَ طُلُوعِ الْفَجْرِ حَلَّ الْكُرِّ \*\* وَارْتَعَبُوا بُفْضَائِلَ الْجُمُعَةِ  
لِيَهُمَ جَيْشٌ غَزِيرٌ كَالرَّخَارِ \*\* وَاحْتَلَّ الْمِيدَانَ بِالسُّرْعَةِ  
جَيْشَ الْكُفْرِ ضَحَى عَلَيْهِ عَسَارٌ \*\* مَنْ يَغْنِيهِ الصُّورُ لِلْمَنَعَةِ  
الْمَيْتِ مَنَّا مَشَى مَرْحُومٌ \*\* وَعَمَّازَ الْكُفَّارَ مَدْمُومَةٌ  
حَزَنَاهُمْ لِلصُّورِ ذَاكَ الْيَوْمِ \*\* تَسَعُ الْأَفْ بَقَاتٌ مَعْنُومَةٌ  
مَنْ حَيْطَ الدَّشْرَةَ لِحَوْضِ الدُّوْمِ \*\* تَسَعَةُ الْأَفْ مَسَاتٌ مَحْطُومَةٌ  
طَلَّ عَلَى الْكُفَّارِ يَوْمَ السَّبْتِ \*\* خَرَجُوا لَكَ مِنْ بَابِ مَرْغَرَانَ  
إِلَى غَرْبِ الصُّورِ كَانُوا زَفَتْ \*\* وَالْأُدُودُ طَلَاوَهُ بِالْقَطْرَانِ  
الْأَمِيرِ حَسَانَ يَوْمَ مَرْغَرَانَ \*\* اخْلَفَ النَّارَ مِنَ الْعَدُوِّ تَحْقِيقُ  
رُجِعَ لِلْبَهْجَةِ رَوْضَةَ الْبُلْدَانِ \*\* بَعْنَائِمَ شَتَّى وَنَصْرَ لَبِيقُ  
ادْعُوا لَهُ يَا نَاسَ بِالْغُفْرَانِ \*\* يَجْعَلُ لَوْ رَبِّي يَوْمَ الْمُضِيقِ طَرِيقُ

و- تقديم اسم أضحى "جيش الكُفْرِ" على النَّاسِخِ قصد لفت انتباه المخاطب إلى ماحلّ بجيش الاحتلال في قوله:

جَيْشَ الْكُفْرِ ضَحَى عَلَيْهِ عَسَارٌ \*\* مَنْ يَغْنِيهِ الصُّورُ لِلْمَنَعَةِ

تقديم الفاعل على الفعل في قوله:

الْأَمِيرُ حَسَانَ اخْلَفَ النَّارَ

كما لجأ الشاعر إلى استخدام وسيلة لإثارة المتلقي، وهي التعلّق بالدين والوطن والتاريخ، وفي ذلك ضمان

لأن يتلقى الخطاب، ويجيبه إلى طلبه، ويظهر جلياً حرص الشاعر على إثارة مخاطبه في مثل قوله: "يا علي"، يا

سَيِّدَ الْحَسَنِينَ وَفَاطِمَةَ"، "يَا ذَنَ اللَّهِ الْوَاحِدِ الْقَيُّومِ"، "وَفِيهِمْ أَبُو بَكْرٌ وَمُحَمَّدٌ"

- القوى الإنجازيّة في التراكيب النحويّة:

يعدّ مفهوم القوّة الإنجازيّة أحد اهتمامات الدّراسات التّداوليّة للجمل، ويشمل كلّ ما يواكب جملة ما

أونصاً كاملاً من مقاصد أثناء التّواصل، مثل: الإخبار، الاستفهام، الأمر، النّداء<sup>(23)</sup>، وغير ذلك من الأساليب

العربيّة، ومن أنواع القوى الإنجازيّة في تراكيب القصيدة:

- النّداء: يعدّ النّداء من الأدوات الإنجازيّة التي تسهم في تحقيق مقاصد التّركيب، نحو قوله:

" يَا تِجَانِ الْحَرْبِ "، " يَا عَلِي الْمَفْهُومِ "، " يَا مَغْرَاوَةَ اتْحَزَمُوا لِلْكَيدِ "... الخ.

-الإشارات المكانية والإشارات الزمانيّة.

أ- الإشارات المكانية: وهي لواحق تشير إلى مكان ينبغي أن تشمله دلالة المتكلم، ويدركه المخاطب (المتلقي)، لتنجح العملية التواصلية، ومن صورها في القصيدة أن يشير المتكلم إلى مكان صريح معلوم، وينبغي على المخاطب أن يكون عارفاً له تحديداً، بكل ما يمكن أن يتعلّق به، وإلاّ أخفق في تلقي الخطاب، ومنه قوله:  
" قصة مزغران معلومة"، "يوم مزغران"، "من حيط الدشرة لحوض الدوم"... الخ.

ب- الإشارات الزمانية: أن يشير إلى زمن مهم من حيث الدلالة التحوّية، ولكي يتعرّف المخاطب على الحيز الزمنيّ المراد في الخطاب، عليه أن يستغلّ كلّ ما يفضي به في البنية، وما يشير إليه، ليتحقّق له الفهم من ذلك مثلاً:  
"يوم السبت"، "حزناهم للصّور ذاك اليوم"، "عند طلوع الفجر"... الخ.

وفي الأخير يرتبط مفهوم الشعر عند سيدي لخضر بن خلوف بوظيفة الحياة، كأن يحمل موقفاً أو يعدل سلوكاً، أو يدعو إلى أمر أو ينهى عنه؛ بعيداً عن المفاهيم الأخرى التي تجعل الشعر فتناً لذاته، بل إنّه فعل وسلوك؛ ينبغي أن يكون له تأثيره على المتلقين، إنّه في نظره رسالة يؤدّيها الشاعر بالإخلاص التام لانتماءاته الإسلامية والوطنية والتاريخية، والحثّ الدائم على الالتزام بمبادئها.

إنّ الشعر أكثر ملاءمة للدراسة التداولية، وذلك أن هدفه التأثير في المخاطب وتعديل مواقفه وسلوكاته.

#### -الإحالات:

- 1- ينظر: خليل عبد النعيم، نظرية السياق بين القدماء والمحدثين دراسة لغوية نحوية دلالية، ص: 09.
- 2- ينظر: محمود السّعران، علم اللّغة: مقدّمة للقارئ العربيّ، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1994م، ص: 263.
- 3- ينظر: تمام حسّان، اللّغة العربية معناها ومبناها، ص: 273-372.
- 4- ينظر: Dictionary of language and Hartman and F.c.stork, linguistics, R.R.K, 1972,P:91.
- 5- ينظر: يحي أحمد، الاتجاه الوظيفي، ص: 72.
- 6- إميل بنفنيست (1902-1975) لسانيّ فرنسيّ مقارنيّ، كانت له مناقشات لآراء سوسير اللسانية بخصوص موضوع الإعتباطية، من مؤلفاته، مسائل في اللسانيات العامة.
- 7- ينظر: تمام حسّان، قرينة السياق، بحث قُدّم في (الكتاب التذكاريّ للاحتفال بالعيد المئويّ لكلية دار العلوم)، مطبعة عبير للكتاب، سنة 1413 هـ - 1993م، ص: 375.
- 8- ويسمّى أيضاً: "السياق غير اللّغويّ" أو "سياق الموقف" أو المقام عند البلاغيين العرب.
- 9- ينظر: حلمي خليل، العربية وعلم اللّغة البنيويّ، ص: 135.
- 10- ينظر: محمود السّعران، علم اللّغة، ص: 311.
- 11- ينظر: Michael Gregory and Susanne Carroll: language and situation,p:4.
- 12- ينظر على سبيل المثال أيضاً: كمال محمد بشر، دراسات في علم اللّغة، القسم الثّاني، ص: 61. / وأيضاً: عبده الزجاجيّ، فقه اللّغة في الكتب العربية، ص: 166.
- 13- ينظر: محمود السّعران، علم اللّغة، ص: 312.

- 14- ينظر: p:52.: R.R.K Hartmann and F.c.stork, Dictionary of language and linguistics
- 15- ينظر: أحمد المتوكل، الجملة المركبة في اللغة العربية، منشورات عكاظ، الرباط، المغرب، 1988م، ص: 25.
- 16- ينظر: المرجع نفسه، ص: 25 .
- 17- ينظر أحمد المتوكل، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، بنية الخطاب من الجملة إلى النص، دار الأمان للنشر، الرباط، المغرب، ط1، 2001م، ص: 110.
- 18- ينظر: أحمد المتوكل، الوظائف التداولية في اللغة العربية، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط 1، 1985، ص: 17.
- 19- ينظر: عثمان بن طالب، البراهماتية وعلم التراكيب، ضمن أشغال الملتقى الدولي الثالث في اللسانيات، سلسلة اللسانيات، العدد6، تونس، 1986م، ص: 125.
- 20- ينظر: مقبول إدريس، الأسس الإستيمولوجية والتداولية، ص: 63-64.
- 21- فرانسواز أرمينكو، المقاربة التداولية، ترجمة سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، الرباط، المغرب، 1986م، ص: 56.
- 22- ينظر: سيدي لخضر بن خلوف (حياته وقصائده)، ج 1، منشورات جمعية آفاق مستغام، دار الغرب للنشر والتوزيع، 2006م، ص: 167 وما بعدها.
- 23- ينظر: سيدي لخضر بن خلوف (حياته وقصائده)، المرجع السابق، ص: 168-171.
- 24- ينظر: أحمد المتوكل، الوظيفة بين الكلية والتمطية، ص: 17.

### -قائمة المصادر والمراجع:

- 1- خليل عبد النعيم، نظرية السياق بين القدماء والمحدثين: دراسة لغوية نحوية دلالية.
- 2- محمود السمران، علم اللغة: مقدمة للقارئ العربي، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1994م.
- 3- تمام حستان، اللغة العربية معناها ومبناها.
- 4- Dictionary of language and Hartman and F.c.stork, linguistics, R.R.K, 1972
- 5- يحي أحمد، الاتجاه الوظيفي.
- 6- إميل بنفيسست (1902م - 1975م) لساني فرنسي مقارني، كانت له مناقشات لآراء سوسير اللسانية بخصوص موضوع الإعتباطية، من مؤلفاته، مسائل في اللسانيات العامة.
- 7- تمام حستان، قرينة السياق، بحث قُدّم في (الكتاب التذكاري للاحتفال بالعيد المئوي لكلية دار العلوم)، مطبعة عبير للكتاب، سنة 1413 هـ - 1993م.
- 8- حلمي خليل، العربية وعلم اللغة البنيوي.
- 9- Michael Gregory and Susanne Carroll: language and situation
- 10 - كمال محمد بشر، دراسات في علم اللغة، القسم الثاني.
- 11- عبده الزجاجي، فقه اللغة في الكتب العربية.
- 12- أحمد المتوكل، الجملة المركبة في اللغة العربية، منشورات عكاظ، الرباط، المغرب، 1988م.
- 13 - أحمد المتوكل، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، بنية الخطاب من الجملة إلى النص، دار الأمان للنشر، الرباط، المغرب، ط1، 2001م.



- 14- أحمد المتوكّل، الوظائف التّداوليّة في اللّغة العربيّة، منشورات الجمعية المغربيّة للتّأليف والترجمة والنّشر، الدّار البيضاء، المغرب، ط 1، 1985م.
- 15 - عثمان بن طالب، البراغمة وعلم التّراكيب، ضمن أشغال الملتقى الدّوليّ الثّالث في اللّسانيّات، سلسلة اللّسانيّات، العدد 6، تونس، 1986م.
- 16- مقبول إدريس، الأسس الإبتيمولوجيّة والتّداوليّة.
- 17- فرانسواز أرمنكو، المقاربة التّداوليّة، ترجمة سعيد علوش، مركز الإنماء القوميّ، الرّباط، المغرب، 1986م.
- 18 - سيدي لخضر بن خلوف(حياته وقصائده)، ج 1، منشورات جمعيّة آفاق مستغانم، دار الغرب للنّشر والتّوزيع، 2006م.
- 19 - أحمد المتوكّل، الوظيفة بين الكلّيّة والتّمطيّة.